صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقا فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا
امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر
اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون
ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو
قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا ستغلبون اي تهزمون وتحشرون يعني
في الاخرة الى جهنم وبئس المهاد اي الفراش والمهد والمعنى بئس ما مهد لكم في النار قوله عز وجل قد كان لكم اية
في فئتين التقتا قيل الخطاب للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب لاهل
لكفار مكة فيكون عطفا على الذي قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن
جرير **فان قلت** لم قال قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان الاية مؤنثة
قلت لما ليس بمؤنث حقيقي يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه
قد كان لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ وقال الفرا انما ذكر لانه حال الصفة بين الفعل والاسم
المؤنث فذكر الفعل وكل ما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الاية قد كان لكم اية اي عبرة ودلالة على صدق
ما اقول لكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين واصلها في الحرب لان بعضهم يفئ الى بعض اي يرجع التقتا يعني
يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا من الانصار والمهاجرين وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب وصاحب راية
الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح ستة ادرع وثمانية
سيوف وقوله تعالى واخرى كافرة اي وفرقة اخرى كافرة وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسون
رجالا من المقاتلة وكان راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى ترونهم مثليهم قرئ بالتا
يعني ترون يا اهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا
على من تكون الدبرة ولمن النصر فراوا المشركين مثلي عدد المسلمين وراوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ ترونهم
بالياء واختلفوا في وجه قراءة اليا فجعل بعضهم الروية للمسلمين وردوا مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل
قول الرجل وعنده درهم انا محتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه اخر وهو
ان الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المؤمنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا
التاويل الثاني هو الاصح قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى راوهم مثليهم **فان قلت**
كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في
اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين وان المسلمين استكثروا المشركين وان القصتين
تشابهتا فاستقلال احدهما الاخرى **قلت** ان التقليل والتكثير في حالتين مختلفتين
فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية القتال على مثليهم
عليهم ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فصبروا على قتالهم بذلك السبب قال ابن
مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم رايناهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا

وفي

وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلنا لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا
منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الروية راجعة الى المشركين
يعني راى المشركون المسلمين مثليهم قلل الله المسلمين في اعين المشركين في اول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينهزموا فلما
اخذوا في القتال كثر الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روي ان المشركين
لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا ما كنا نراكم الا
تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وما ذلك الا اظهار القدرة التامة
وقوله تعالى راي العين اي في راي العين والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء ان في ذلك يعني الذي ذكر من
النصر وقيل روية الجيش مثليهم لعبرة اي لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المؤدية
الى العلم واصلها من العبور كانه طريق يعبر به فيوصل الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر منها
من منزلة الجهل الى منزلة العلم لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر قوله عز وجل زين للناس
قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق جميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق
جميع ملاذ الدنيا واباحها العبيد واباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك
يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يؤكد ذلك قرا مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل
وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة واستدلوا على ذلك ان الله تعالى
زهد في هذه الاشيا بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه
الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله تعالى ذكر هذه الاشيا في معرض
الذم للدنيا ويدل عليه اخر الاية وهو قوله تعالى والله عنده حسن المآب ونقل عن
ابي علي الجبائي من المعتزلة انه قال ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك
كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة لان الله خالق كل شي ولا
شريك له في ملكه وقوله تعالى حب الشهوات يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى
الشي المشتهى من النسا انما بدا بذكر النسا لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم
ولانهن حبايل الشيطان واقرب الى الافتتان والبنين انما خص البنين بالذكر لان حب
الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبهم ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه
وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقا التوالد
ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك والقناطير المقنطرة جمع قنطار وسمي قنطارا من الاحكام والعقد
يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة اي المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو
محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل
ان القنطار الف ومائتا اوقية وقال ابن عباس الف ومائتا مثقال وعنه اثنا عشر الف درهم
او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة
رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جا الاسلام يوم جا وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال
سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدي

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)